وبذلك يفقد تعريف الزمخشري للنحو بأنّه علم الإعراب كلّ شرعيّة علميّة، لأنّ الإعراب بهذا التصور لا يمثّل ظاهرة كليّة من خصائص الألسنة البشريّة ولا يشمل من العربيّة إلاّ جانبا جزئيا وبشكل ما غير جوهري. [1]

لا ينكر إبراهيم مصطفى أن القدامى تجاوزوا حدود الكلم المفردة عند بحثهم في الإعراب وتناولوا ظواهر يمكن أن تجد مكانها في الجملة ضمن التصوّر الجديد الّذي يدعو إليه. ولكنّه يعيب عليهم منهجهم في ذلك أو إن شئت قلت زاوية النظر الّتي اعتبروا بها هذه الظواهر وهي وجهة تهتمّ باللفظ (أحوال الإعراب) وتهمل المعنى [2].

وتكمن أهميّة هذه المقابلة في تأسيسها لمقابلة أخرى بين نوعين من الدراسة النحويّة:

- دراسة نحويّة تهتمّ باللفظ وتقتصر عليه أحسن ممثل لها سيبويه.
- دراسة نحويّة تهتمّ بالمعنى وتتجاوز أواخر الكلم وعلامات الإعراب وأحسن ممثل لها الجرجاني انطلاقا من كتابه دلائل الإعجاز.

وقد نصب إبراهيم مصطفى نفسه لإحياء مذهب الجرجاني - ولذلك سمى كتابه إحياء النحو باعتباره منهجا في البحث النحوي لا مبحثا في البلاغة. وشدّد على أن القدامى الذين انطلقوا من آراء الجرجاني وأسّسوا في البلاغة علما جديدا منفصلا عن النحو سموه علم المعاني قد أساؤوا فهمه وشوّهوا قصده. فقد كان عليهم أن يجمعوا علم الإعراب وعلم معاني النحو في مبحث واحد على أن تكون للأساليب المنزلة المعرفيّة الأولى في ترتيب المادّة وتبويبها. [3]

لقد حظيت أقوال صاحب إحياء النحو بعناية اللّغويين بعده وغدت مسلمات بحث اجتهدوا بطرق مختلفة في تطبيقها وتبنّيها. نلمح أثرها واضحا في

---

1 انظر في هذا الصدد إبراهيم أنيس من أسرار اللّغة ص 198

2 إنّهم رسموا للنحو طريقا لفظيّة ... ص 8 من إحياء النحو

3 المرجع السابق ص 19